أطل عمرك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ، قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ» (١) وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ» (٢).

دَقَّاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقٌ وَثَوَانِي
فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا فَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عُمْرٌ ثَانِي

خمسة عشر عاما قبل سن التكليف، وعشرون سنة نوم؛ هذا لمن ينام ثمان ساعات يوميا، وخمس سنوات نقضيها في الطعام وقضاء الحاجة بواقع ساعتين يوميا، بقيت من الستين عشرون سنة نقضيها في الكسب بواقع ثمان ساعات يوميا؛ فأين نحن من قول الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]

الحل أيها الأفاضل في إطالة أعمارنا في هذه الحياة، ليترك كل منا أثرا بعد رحيله من هذه الدنيا..

وكن رجلاً إن أتوا بعده يقولون مر وهذا الأثر.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢]

وأنا أذكر لحضراتكم نموذجين ممن عملوا على إطالة أعمارهم بعد موتهم؛ أحدهما في المجال الدعوي والآخر في المجال الجهادي. رجلان من المعاصرين ممن عايشناهم ولمسنا آثارهم وحبيبنا صلى الله عليه وسلم يقول: «مثل أمتي مثل المطر، لا يدري أوله خير أم أخره» (٣)، الأول هو طبيب كويتي لا يفصلنا عنه إلا سبع سنوات فقط، رجلٌ أوقف الله به مخطط الفاتيكان لتنصير أفريقيا عام ٢٠٠٠، رجلٌ ترك حياة الترف ورغد العيش بين كندا

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٢٩/ ٢٢٦) ، سنن الدارمي (٣/ ١٨٠٢) ، سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٥٦٥).
(٢) سنن ابن ماجه (٢/ ١٤١٥) ، سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٥٥٣).
(٣) مسند أحمد ط الرسالة (١٩/ ٣٣٤) ، سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ١٥٢).

والكويت ليقضي أكثر من ٢٩ سنة لنشر الإسلام في القارة السمراء، تعرض لمحاولات قتل مرات عديدة من قبل المليشيات المسلحة وحاصرته أفعى الكوبرا في موزمبيق وكينيا وملاوي غير مرة بالإضافة إلى لسع البعوض في تلك القرى.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام.

جعله الله حصنا منيعا لهذه القارة المنسية من التنصير فأسلم على يديه أكثر من ١١ مليون شخصاً في أفريقيا، بنى أربع جامعات، وتخرج عليه يديه آلاف الدعاة، بنى خمسة ألاف وخمسمائة مسجدا، وحفر سبعة ألاف بئر، بنى المراكز الصحية، ودور الرعاية والمؤسسات الخيرية. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَن دعا إلى هدًى كان له مِن الأجر مثلُ أجور مَن تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا)) (١).

والنموذج الثاني هو الشيخ المجاهد أسامة بن لادن الذي ترك والده ثروة تقدّر بـ ٩٠٠ مليون دولار، لكنه آثر الحياة بين الجبال على معيشة الترف. أسقطت عنه السعودية الجنسية بعد خطابه الشهير للملك فهد بن عبد العزيز فعاش طريدا في البلدان لكن الله أحيا به أمة وقهر الله به أنوف الطغاة والمتجبرين فبث في الشباب روح الجهاد والبذل والتضحية. والله جل وعلا يقول: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

قد مات قومٌ وما ماتَتْ مكارمُهم وعاش قومٌ وهم في الناسِ أمواتُ

هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٠).

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

أخي الحبيب: كيف تطيل عمرك؟

يمكننا إطالة العمر على الحقيقة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سره أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه»[(١)]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار، يُعَمِّرْنَ الدِّيَارَ وَيَزِدْنَ فِي الْأَعْمَارِ"[(٢)].

ويمكننا أيضا كذلك إطالة العمر الإنتاجي؛ وذلك بالحرص على الأعمال المضاعفة وهي كثيرة جدا. تأمل معي أخي الكريم لو أدرك أحدنا ليلة القدر في الحرم المكي، تكون الركعة في ليلته تلك تعدل أكثر من: ٨,٣٠٠,٠٠٠ ركعة.

ويمكننا أيضا إطالة أعمارنا بترك أثار صالحة بعد موتنا تكون لنا ذخرا في قبورنا؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[(٣)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره، وولدا صالحاً تركه، ومصحفاً ورثه، أو مسجدا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته»[(٤)]، وعن سلمانَ رضي الله عنه قال: سمِعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((رِباطُ يومٍ وليلةٍ خيرٌ مِن صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عملُه الذي كان يعمَلُه، وأُجرِي عليه رزقه، وأَمِنَ الفتَّان))[(٥)]، وعن فَضالةَ بنِ عُبَيد رضي الله عنه قال: سمِعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((كلُّ ميت يُختَم على

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ٥٦) ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٢٥٩) مطولاً، وابن أبي الدنيا في ((مكارم الأخلاق)) (٣٢٩) ، وابن حبان في ((المجروحين)) (٢/٢٤٣) ، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٣) صحيح مسلم (٣/ ١٢٥٥).

(٤) سنن ابن ماجه (١/ ٨٨).

(٥) صحيح مسلم (٣/ ١٥٢٠).

عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله، فإنه ينمو عملُه إلى يوم القيامة، ويأمن فتنةَ القبر))[1] إلى غير ذلك من الأعمال العظيمة التي تطيل بها عمرك بعد موتك وقد نظمها السيوطي رحمه الله فقال:

إذا مات ابنُ آدمَ ليس يجري عليه مِن فعالٍ غيرُ عشرِ.

علومٌ بثَّها، ودعاءُ نجلٍ وغرسُ النخلِ والصَّدَقاتُ تَجْري.

وراثةُ مصحفٍ، ورِباطُ ثغرٍ وحفرُ البئرِ، أو إجراءُ نهرِ.

وبيتٌ للغريبِ بناه يأوي إليه، أو بناه محلَّ ذكرِ.

وتعليمٌ لقرآنٍ كريمٍ فخُذْها مِن أحاديثٍ بحصرِ.

عبادَ اللهِ إنَّ اللهَ يأمرُ بالعَدْلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذِي القربى وينهى عَنِ الفحشاءِ والمنكرِ والبَغي، يعظُكُمْ لعلَّكُمْ تذَكَّرون. اذكُروا اللهَ العظيمَ يذكرْكُمْ واشكُروهُ يزِدْكُمْ، واستغفروه يغفِرْ لكُمْ واتّقوهُ يجعلْ لكُمْ مِنْ أمرِكُمْ مخرَجًا.

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٣٩/ ٣٧٤)، سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ١٦٥).